أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والإنسانية ـ مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر
EISSN 2800-1435 ISSN 2773-2940 المجلد 05 العدد 02 (سبتمبر، 2023) ص77 إلى 90

البحث العاطفي في الرواية الجزائرية رواية "بوابة الذكريات" لأسيا جبار أنموذجا.

Emotional Research in the Algerian Novel
The Case Study of Assia Djebar's "The Gate of Memories"

سارة سكيو*

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1، sarah.sekkiou@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال	2023/07/12	تاريخ القبول	2023/09/13

ملخص

تحوم أفكار وهداف هذه الورقة البحثية حول القاء نظرة على عالم الإبداع الروائي النسوي الذي ينبع من لدن أقلام الأنثى الواحدة التعبير، الذي يتعلق بالبحث عن الهوية الصحيحة للمرأة كمبدعة ومؤلفة من جهة، وككيان حضوره لطالما تعلق في الرواسب الثقافية لمختلف المجتمعات بحضور الآخر أي الرجل.

أين سنحاول من خلال أوراق دراستنا أن نعرج على تجربة الشخصيات النسائية في رواية "بوابة الذكريات" لأسيا جبار، أين سنبين التواتر السلوكي الذي عاشته كيكنونة الذات الأنثى -المتأثرة بظروف خارجية أساسها اسقاطات المجتمع الجزائري- في طريقها للبحث عن الاشباع العاطفي، والذي تمّ من خلال مواقف واسقاطات كثيرة توضحها المشاهد السردية في هذه الرواية.

الكلمات المفتاحية: السرد؛ الرواية النسوية؛ الذات؛ العاطفة؛ المرأة؛ الجزائر.

Abstract:

The current investigation attempts to highlight the world of feminist novelistic creativity that stems from the pens of a single expressive female that is related to the search for the correct identity of women as authoress creator on the one hand, and as an entity whose presence has always been attached to the cultural sediments of different societies in the presence of the other i.e man.The aim of the study is to explore Female characters in the novel "Gate of Memories". It clarifies the behavioral frequency experienced by the female self - influenced by external circumstances based on the projections of Algerian society - searching for emotional satisfaction. This was done through situations and many projections illustrated by the narrative scenes in this novel.

Keywords: Narrative; feminist novel; self; emotion; woman; Algeria

* المؤلف المرسل

1.مقدمة

تتجدد بؤر الإبداع بخوض غمار تجارب جديدة، تجعل المبدعين خاصة في عالم الأدب يخلقون عوالم فنية لها قابلية التنوع، كذلك سجايا وطبيعة المؤلف البيولوجية تختلف بين الجنسين الذكر/الأنثى فنلاحظ وجود بون واضح بين القلمين، وما نريد التركيز عليه هنا هو تلك المحطات السردية التي تخطها أنامل المرأة لتصنع من خلالها عالما جديدا يحاكي الواقع من منظور ذي روح جديدة، وعليه نتساءل هل السرد النسوي مختلف عن المألوف؟ وهل تستطيع الكاتبة آسيا جبار أن تبين عن زاوية العاطفة من خلال روايتها بوابة الذكريات؟ هذا الذي سنحاول الإجابة عنه في المحطات التالية معتمدين على المنهج الوصفي باحثين عن خصوصية التجربة العاطفية لبطلة الرواية التي تحاول في هذه المسردية أن تشاركنا جانيا خاصا من ذاتيتها ومشاعرها.

2. الإبداع النسوي والرواية

1.2 بين النسوية والطرح العاطفي:

عميقة هي التجارب الإنسانية التي يعبر عنها عن طريق الإبداعات الأدبية، ولأن لكل مبدع أديب خاصيته الخاصة في منظوره للتجارب التي يكتب عنها، كان ولابد من ظهور نوع جديد في الكتابة السردية كما كان الحال مع الكتابة الشعرية، تحديدا في سياق وإطار الحديث عن الكتابة النسوية، التي تحتل في عصرنا اليوم مكانة جد هامة استطاعت من خلالها صاحبات هذا الإبداع أن يعبرن بوابة الارتقاء وتجاوز الظروف والحدود القسرية التي كاد تحد من نظرة المرأة، سواء بينها وبين ذاتها، او بينها وبين الآخر/الرجل، وقد تميزت الساحة الأدبية المتعلقة بفن الرواية العربية خاصة والجزائرية على وجه التحديد، باشتعال أسماء مهمة استطاعت أن تخلد في تاريخ الإبداع الأدبي ككل، وفي الحقيقة يتضح بأن الرواية النسوية جنس سردي ذا توجه إيديولوجي، يجعل من الرواية وسيلة نضالية، تدافع المرأة عن ذاتها الأنثوية ضد تعسف الذكورة، حيث تبوح المرأة في المتن المحكي عن قضاياها الحياتية المتعددة، التي تدعوا فيها لتحصيل حقها في المساواة والاختلاف (سلطاني، 2020، صفحة 41) إذ البصمة السردية فيلا مثل هذه الأعمال السردية تنبع من بيان صادر أساسا من توجه العنصر النسوي وحسب مفهومه للمشاعر والأحداث التي حقيقة تتمايز عن

الطريقة التي يعبر بها المؤلفون الذكور، و نلاحظ "إن الرواية النسوية هي التي توظف نصوصها السردية للتعبير عن قضايا المرأة والدفاع عنها، عبر المطالبة في كتابتها بحقها في المساواة والاختلاف، وهي تتجاوز في مفهومها العامل الفئوي، لترتكز في دلالتها على الجانب الإيديولوجي، لأن دلالتها لا ترتبط بالمعيار الجنسي الذي يربط مفهوم الرواية النسوية بطبيعة الكاتب، بقدر ما هي كتابة تحيل في أسلوبها التعبيري على صراع الأفكار بين الجنسين وتقويض الأنساق الثقافية التي شوهت ذات الأنثى، وهو صراع لا يهدف لإقصاء أحد الطرفين، بقدر ما يشجع على الائتلاف بينها، عبر احترام مبدأ الاختلاف والتمايز في الإبداع بين الجنسين، فالرواية النسوية هي الكتابة السردية التي تكتب عن المرأة، وتناضل في مضمونها عن ذاتها الأنثوية وقضاياها المتعددة، وتطالب في متنها المحكي بتحصيل حقها في الاختلاف والمساواة (سلطاني، 2020، صفحة 41) ولو أمعنا النظر في هدف القلم النسائي لوجدنا أنه قبل كل شيء يبحث عن سرد واقعي للذات الأنثوية والتصريح بذلك التمييز الجنسي الذي تعيشه في المجتمعات العربية خاصة، فلا نجد عادة جوهر المتون السردية في مثل هذه الروايات أساسه التنميق أو البحث عن الملذات المادية كما يكون في معظم الروايات التي يكتبها الرجال، بل على النقيض تماما، نستطيع من أو استهلال لحظي للقلم النسائي في الرواية أن نستشعر معاناة الجانب الأنثوي ونحس بعمق الألم الذي هي بصدد طرحه في إطار موضوعات تبحث فيها عن العاطفة المناسبة رغم كل التهميش الذي تتعرض له في المجتمع تماما كما هو ملحوظ في كتابات الكثير من الروائيات الجزائريات نحو أحلام مستغانمي وآسيا جبار ومثل ذلك..

ولابد من أن نستوعب أن البوح العاطفي مهم جدا لأي مبدع، رجل كان أو امرأة، فحقيقة تعتبر العاطفة من أشد وأوضح جوانب الشخصية الإنسانية ظهورا أو حضورا؛ لما لها من تأثير بالغ على بقية الأبعاد المعنوية والسلوكية، في المسيرة الإنسانية، وتتمثل العاطفة في تمركز الانفعالات في اتجاه واحد كما تتمركز أشعة الليزر؛ لتحدث تأثيرا ما؛ فيصبح للعاطفة من التأثير البالغ على الذات والآخر ما لا يكون عند توزعها وتشتتها (المشرف، 2012، صفحة 3)ولنركز على ربط الانفعالات بالعاطفة، وكأن هذه الأخيرة يمكن اعتبارها منبها فعالا لتحريك ونشأة ردود أفعال معينة، فالرغبة مثلا تنبع من العاطفة، وتختلف

بطبيعة الحال من شخص إلى آخر بالنظر لعدة عوامل خارجية وباطنية من أهمها الرواسب الثقافية المنتشرة في المجتمع، "ومجتمعاتنا موغلة في العاطفة إلى حدّ الإغراق، حتى تدخلت - العاطفة- في صناعة قراراتنا، ومواقفنا، وحكمنا على الأشياء، في مختلف القضايا الخاصة، والعامة، فأصبحت المستشار، والمقرر، والحاكم، والشاهد، مما أثر على التفكير المنطقي المنضبط وآلياته، فنأت الموضوعية، والعادلة، والحياد عن الكثير من قراراتنا ومواقفنا. وتعامينا عن أخطاء من نهواه ونرتضيه فردا كان أو جماعة (المشرف، 2012، صفحة 3) وسنتأكد من نسبة صحة هذا الكلام في الرواية التي سندرسها في الأوراق التالية، فالفكرة الابداعية المؤنثة التي هي الكتابة المؤنثة: عبارة فرنسية تنص حرفيا " الكتابة المؤنثة" وفقا لدعوة بعض النسويات الفرنسية، تفهم هذه الكلمة على انها تعني الكتابة التي تظل على صلة بالطاقة الحيوية الجنسية الشهوية (الليبيدية) المؤنثة، وهي من ثم يتعارض مع النظام الاجتماعي للمعنى (المعنى الرمزي) من حيث كونه نظاما مقصيا كابتا... (موريس، 2002، ص292) نموذج حي لبسط البوح العاطفي الذي يخطوا المبدعون كلماتهم الفنية نحوه، والمرأة أساسا عاطفتها قيادية لها في الكثير من المواقف التي تحدد سلوكها، لذلك العاطفة "في علم النفس العاطفي تعني أنها استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة، والقيام بسلوك خاص حيال فكرة أو شيء ما، كما تعني تمركز الانفعالات حول موضوع واحد مع الاستعداد النفسي المسبق، والعاطفة هي استعداد أو ميل يدور حول فكرة أو شيء ما، والحب، والشفقة، والمودة، والرحمة، و... عواطف، وهي أقرب إلى الثبات والاستقرار، بينما الغضب، الخوف، والرجاء، والقلق، ... انفعالات، قد تكون طارئة ومؤقتة (المشرف، 2012، صفحة 15) وتنزل المشاهد السردية في الرواية النسوية كالشلال الذي يحمل معها كل هذه العواطف والمشاعر المختلطة التي تبني لنا الأحداث التي لا يستطيع أي قارئ فهمها والشعور بها، لذلك نرى بان الرواية النسوية بؤرة مهمة لكنز التجارب والأحاسيس التي هي ضد النسيان.

وبما أننا اننا بصدد الحديث عن الأدب والنسوية، لابد من استيعاب أن النظرة التي ينظرها الرجل أو المجتمع بفئاته كلها بنظر للكيان الأنثوي وفق عدة زوايا محددة ومسننة لا يخرج عن نطاقها، فنجد هذه القولبة المعتادة للأنثى أنها تكون لا محالة ستلعب أدوارا تشخيصية كالتالي:

المرأة المغوية: التمثيل السلبي للنساء كمغريات جنسيا للرجال، تلزمهن رقابة أخلاقية وعقاب (كما في ملكة الحوريات لسبنير) يعكس خوف الرجال من فقد القوة والتحكم في الفعل الجنسي..

القوارير الضعيفة: دور المرأة في الإنجاب سائد ومضمون، على عكس دور الرجل، وهذا مصدر آخر لقلق الذكور، من هنا يأتي تمثيل الإبداع والمعرفة على أنهما خصائص شبه إلهية تخص الذكور (الفردوس المفقود لميلتون) والإصرار على اتكال النساء على الرجال..

المرأة الكاملة: العفة والخضوع هما دائما فضيلة النساء، المتزوجات منهن والعزباوات، لكن لأن الرجال لا يرون النساء إلا بشروط نمطية فإنهم لا يعرفونهن بالفعل أبدا، ومن هنا يأتي شعورهم الدائم بعدم الأمان.. لهذا تحديدا ظهرت النسوية لها : مفهوم سياسي مبني على مقدمتين منطقيتين أساسيتين:

أ- إن بين النوعين مؤسسة تقوم على عدم المساواة بين النساء والرجال، وتعاني النساء بسببها من انعدام العدالة في النظام الاجتماعي.

ب- إن انعدام المساواة بين الجنسين ليس نتيجة لضرورة بيولوجية، لكنه ناتج عن الفروق التي تنشئها الثقافة بين الجنسين. يقدم هذا المفهوم للنسوية جدول أعمالها الذي يحتوي على مهمتين: فهم الآليات الاجتماعية والنفسية التي تنشئ وتؤيد انعدام المساواة بين النوعين، ثم تغيير هذه الآليات، ويبدأ الفهم النسوي من التعريف الواضح لمصطلحي "أنثى" و"ذكر" المستخدمين للإشارة إلى الفئات البيولوجية المحددة للجنس. ولقد عانت النساء طويلا من تقليد يسمى عامة "النزعة الجوهرية البيولوجية"؛ ويعني الاعتقاد بأن طبيعة المرأة من العواقب الحتمية لدورها في الإنجابي. وما هو طبيعي أو جوهري لا يمكن تغييره بنفس الطريقة التي يمكن بها تغيير الصفات الاجتماعية للشخصية. (موريس، 2002، ص29)

السليطات المشاكسات: النساء اللاتي يدرك الرجال أنهن غير جذابات ولا قابلات للإخضاع يكن أكثر تهديدا: وهكذا يجب أن يدركن على انهن بحاجة إلى رجل حقا، وأنهن يستحققن العقاب... (موريس، 2002، الصفحات 72-73) ولا عبث في أن نقول أن هالة الحضور الأنثوي في الأعمال الروائية محصور في هذه القفزات الدورية، ولنركز على أن ذات

المرأة تستطيع لعب كل هذه الأدوار في ظل سياقات مختلفة؛ ذلك كله في سبيل إنشاد التوازن العاطفي الذي تسعى من خلاله لضمان وجودها البيولوجي قبل السيكولوجي، ولن نتعجب أبدا من تناقض هذه الأدوار التي قد تتقمصها المرأة وتعيشها في ذات شخصية واحدة تعالج أحداث الرواية وتتصاعد مسرديتها حسب ظروفها الخارجية والباطنية، فالحب أساس عاطفة الأنثى وهي حتى إن كرهت تكره بحب وتنغمر في احاسيس من الصعب إدراكها بالكلام البسيط أو العقل الساذج، وفي هذا السياق نجد الشاعر الطبير محمود درويش يقول أنقذونا من هذا الحب القاسي، أيكون الجب قاسيا؟! وفعلا قد يكون الحب قاسيا على المحب والمحبوب ومن حولهما؛ فعندما يكون هناك إيغالا في الحب إلى درجة تجاهل عيوب المحبوب وإخفاء سيئاته، فتنأى الموضوعية والعقلانية في الحكم والتقدير، بحيث يدان المجتمع ولا يدان ذلك المحبوب، وتخطأ الأمة كلها ويبقى ذلك المقدس صاحب الرأي الصائب! فإن هذه جناية لا تدانها جناية، ومن جهة أخرى قد يستغرق المحب في الإبحار في زورق عشقه إلى درجة لا يرى إلا جانبا من جوانب شخصية محبوبه؛ فيغفل عما يتمتع به من جوانب موضوعية مشرقة، وقد تجهز الغيرة المفرطة عن حدّ السيطرة على عرش المحبة.. (المشرف، 2012، صفحة 3) ومن غيرها الأنثى تستطيع أن تكون ضحية ومجرمة في حق المشاعر والحب حسب المؤلفين؟ طبعا هذا حسب الهيمنة الذكورية التي تحضر ولا تغيب أبدا سواء في الاعمال التي يؤلفها الرجال وفي بعض الأحيان أيضا النساء، لكن هذا لا يدحض وجود أقلام روائية استطاعت أن تتعمق في هذه القضية وتحاول انصاف المرأة وتفكك وتحلل تجاربها الوجدانية كما هي موجودة في الواقع رغم كل التزييف والتنميق الذي قد يظهر أنه يغطي كيانها، لهذا ظهرت الكتابة النسوية* والكثير من الحملات التي تندد بكل ذلك الظلم الذي تتحمله شخصيات العنصر النسوي ولو كانت مجرد تخييلات وكلاما على ورق، ومع ذلك جدير بالإشارة أنه ليس تكلفا أو تزليفا من الأقلام الأنثوية ما تبثه في تلك الشخصيات الرواية، حتى أنه "لا يمكننا الزعم بأن جميع كتابات النساء ستنطلق من منظور "مؤنث" وتحمل قيما "مؤنثة"، بل لا يمكننا الزعم بأن أي شيء تكتبه النساء سيكون نسويا **feminist** بطريقة أو بأخرى، بمعنى أنه سيتفق مع جدول الأعمال النسوي اذي ينبع

من هذا الخط الفكري سؤال مثير للفضول: هل يمكن أن يقال عن الرجل الذي يتفق مع هذا المنظور ويعبر عنه أنه نسوي؟ فيعتقد أن الإجابة المنطقية على هذا السؤال هي نعم، بينما يجب أن نعترف في نفس الوقت بأن الرجل النسوي سيعتبر في دائما في وضع مختلف عن المرأة النسوية في علاقتهما بالعدالة الاجتماعية القائمة على أساس التنوع. ويمكن للرجل النسوي أن يدرك بنى انعدام العدالة الاجتماعية بين النوعين ويستهجنها، لكنه لا يمكن أن يمر بتجربتها كالمرأة" (المشرف، 2012، صفحة 30) وفي هذه التجارب بصيرة خاصة تختص بالتجربة الفعلية لا التخيلية فقط وهنا سنلاحظ البون الذي يتضح بين حروف القلم الذي يعبر عن الفعل ورد الفعل، وبين تلك التجربة التي تحاول تقمص التجربة لكن دون القدرة على التعمق فيها.

2.2 خصوصية العاطفة الأنثوية في رواية بوابة الذكريات

قبل أن نعرج على منظور الروائية الجزائرية آسيا جبار التي نستطيع العروج على أعمالها ومسارها الروائي بتعريفها على أنها لروائية آسيا جبار (1936-2015) أول امرأة جزائرية تنتسب إلى دار المعلمين في دار باريس عان 1955 وأول أستاذ جامعية بعد الاستقلال في الجزائر، وانتخبت سنة 2005 عضو أكاديمية اللغة الفرنسية، وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية، وهي من أوائل الشخصيات من بلاد المغرب والعالم العربي تعتلي هذا المنصب، لها من الأعمال الجديرة بالذكرة (العطش) 1957م، (القلقون) 1958، رواية (أطفال العالم الجديد) 1962م، (نساء الجزائر في مخدعهن) 1980م... وقد حرصت المؤلفة غي رواية (بوابة الذكريات) على روح الهوية والتفاصيل التي ترافق شخصية (فاطمة) تغلغلت لغتها في وميض المعنى ومساراته، اثرت الخطاب بالوعي التاريخي المتناهي بقيم العربية ومكانتها وسط زخم اللغة الفرنسية وسيطرة مناهجها على التعليم والتعلم، ثم التحولات من الفضاء الريفي إلى المدينة منح للصورة انعكاسا بين منطق التطور والتمدن وخلفيات القرية من أعراف وتقاليد، ثم الانتقال إلى مدينة غربية (باريس) حيث تصبح للمشاهد مد وجزر زمني للذاكرة التي رافقت فترة استعمارية قاحلة ورافقت نجاح (فاطمة) ونمو شخصيتها... (لوت،2022، ص104) والتي تحدثت في روايتها بوابة

الذكريات حول السجية العاطفية وما دونه قلمها حول هذا الموضوع، لابد أن نبرز دور الرواية النسوية الجزائرية التي ولو كانت قد كتب معظمها باللغة الفرنسية غير أن هذا لا يقلل من شأن الدور الذي أتقنته الأنامل الجزائرية الناعمة في إثراء عالم الأدب وإضاءة عالم الحقيقة والواقع، فقد "لعبت المرأة دورا كبيرا في تاريخ الجزائر وتشكيل مشهدها الثقافي، فهي البطلة، وهي الشهيدة وهي الكاتبة، وباختصار هي الحياة بكل تنوعاتها. والقارئ لتاريخ الجزائر لا يمكنه أن يقرأه بمعزل عن المرأة الجزائرية، والكتابة بكل أشكالها كانت من اهتمامات المرأة الجزائرية ومن خلالها استطاعت أن تعرف بوضعها وأن تعبر عن العديد من قضاياها. وكما كان للكاتب باللغة الفرنسية حضوره، كان للمرأة أيضا حضورها ممثلا في العديد من الكاتبات اللواتي عبرن بهذه اللغة واستطعن فرض انفسهن على الساحة الأدبية (ناوي، 2013، صفحة 237) ولخصوصية المرأة الجزائرية نغم لا يشبه نغما آخر وخاصة اننا ندرك جيدا كم عان الجنس اللطيف خلال مرحلة الاستعمار الفرنسي من اضطهاد وتشويه، وما خلفه من رواسب ثقافية أثرا دون أدنى شك في هوية الكيان الأنثوي الذي صار عالقا بين ثقافتين الأولى عربية مسلمة لها تقاليدها وعاداتها ومحظوراتها، وبين ثقافة إفرنجية متحررة تختلف تماما عن الأولى، هذا الذي لاحظنا أن الروائية الجزائرية آسيا جبار قد استطاعت بثه والحديث عنه بما يلبق به في معظم آثارها الروائية، ومن خلال رواياتها فإن ما يلاحظ عليها، أن كاتبتها قد تحدثت عن المرأة الجزائرية من زاويتين: زاوية المرأة المحافظة والمحكومة بالتقاليد، والمرأة المتحررة التي تمنت الكاتبة أن تكونها المرأة الجزائرية، وعموما/ فلقد تحدثت جبار عن نساء بلادها بلهجة أغلبها المحبة والعاطفة وقد كان واضحا أنها تعرفهن وهي معجبة بهن وأنها تشعر بمتعة بالغة وهي تصفهن وتعالج مشاكلهن، فإن -جبار- في رواياتها هاته، تؤسس عالمها الروائي على الذاكرة الجماعية والعودة إلى التراث بحثا عن الهوية الضائعة في تفاصيل حضارة وافدة. ومنه تتشكل تجربة روائية جزائرية وان اتخذت اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير (ناوي، 2013، صفحة 245) وأساس هاتين الزاويتين المختلفتين هو جوهر واحد الا وهو المتاهة العاطفية التي تبحث عنها المرأة كامرأة في كل وقت وزمن، محاولة التعبير عن هويتها الأصلية -التي بعيدا عن تلك الأنساق والسياقات الثقافية المتوارثة في المجتمع الجزائرية – تلبي احتياجاتها العاطفية وترضي كيانها كفرد مستقل.

تدور أحداث رواية بوابة الذكريات حول عالم الانثى الجزائرية التي تتقابل فيه المرأة المتمسكة بالتقاليد الجزائرية وتلك الأخرى التي لم يكن لها من الأمر شيء سوى أن تعجب بالثقافة الإفرنجية المتحررة التي جلبها معه الاستعمار الفرنسي، فنجد بمثابة صراع بين جيلين مختلفين في كل شيء كما تقول -آسيا جبار- بين الام وابنتها. هذا الثنائي قد توليت حمله -أنا الظل النحيف- في قرارة نفسي خلال عقود بعد ذلك: لقد كان انتقالي من البهو إلى النور الشمسي لأول الشوارع – لا يتعلق الأمر بشوارع وسط المدينة، كلا، بل المسار المقنن الواقع على الحواف، على امتداد الأطلال الرومانية- مغامرتي الأولى. إن طفولتي متحركة ولكن تحت المراقبة، طفولة أرهقتها مسؤولية غامضة تتجاوزني، وصلنا أخيرا إلى منزل الصهر. استقبلتنا أصوات صاخبة تنم عن السرور، وهذا بدء من البهو. قبلت المضيفات أمي، نزعت إحداهن الحايك عنها ثم لوته وأخذت تعرب عن إعجابها بزينتها، في وسط الفناء حيث سبرت وجود أسماك قرمزية تنزلق في ماء حوض مرمي، انتشرت الجلبة والسرور من الطابق الأول، فوق المنحدر، نساء أخريات يحيين ويعدن بالنزول متى فرغنا من وضع القهوة والحلويات على المائدة المنخفضة. ثمة فتيات شابات، قريبات لي، رفعتني أن البنت الصغيرة ورحن يقبلنني بإفراط. (جبار، الصفحات 18-19) حتى الحين جلي لنا أن الاستهلال الذي استهلت به الرواية يتعلق بتسليط الضوء حول عالم الأم الذي لاحظناه من خلال سماتها كلبس الحايك وحضور الفرح/ العرس وتقبيلها للنساء المتواجدات هناك، وهذا حجر الأساس في الرواية الذي نجد فيه آسيا جبار تطلق العنان لذاكرتها الحميمية كي تقدم لنا هذا الكتاب الأكثر ذاتية حيث تحي بكثير من العاطفة، الصفاء والحشمة أثر قصة ذاتية تعكس في الحقيقة قصة شعبها، بين عالمين، عالم أب معلم وأم راقية تكشف لها سحر الأعراس النسائية، نشأت فتاة تحمل وتكتشف في الوقت ذاته عالم الآخرين من خلال شغفها بالكتب وما تسر به به صديقتها في الداخلية، نظرة مولعة بحقبة من الزمن: الحفلات الأوروبية الراقصة في ساحة القرية "الأهالي" المراقبين في الظلام، عندما استقرت العائلة في الجزائر العاصمة، تحولت الأم إلى حضرية بأناقة أوروبية وشرعت المراهقة في مراسلة سرية. قصة حب بدأت ترتسم في العاصمة وبعد انتهاء الدروس اليومية بالثانوية الكبرى لا تكف الفتاة الشابة عن السير يسكرها الفضاء والشعر، سنة واحدة قبل الانفجار الذي هزّ كامل

البلاد.. (جبار، صفحة 534) بصوت عالي وقلم واثق تسرد آسيا جبار بقية مشاهد هذه الرواية التي تصف الكثير من التجارب النفسية والعاطفية التي تتعرض لها الأنثى منذ بداية طفولتها وكيف أنها تتغير بمرور الزمن نظرا لعدة عوامل تؤثر فيها، فنجدها تركز كثيرا على زاوية المشاعر التي تعيشها المرأة الطفلة، فنجد من تلك المشاهد المسرودة الكثير نحو قولها ها هي ذكرى طفلة عمرها خمس أو ستّ سنوات تطالع كتابها الأول تلوح أمام ناظري: لقد وصلت مسرعة كالريح إلى هذه الشقة بالقرية وفي يدها رواية استعارتها من المكتبة المدرسية. ودون أن تقبل أمها في المطبخ، دلفت إلى غرفة والديها. انبطحت على هذا السرير الذي بدا لها هائلا (قبالتها في المرآة القديمة العالية، يمكنها أن ترى نفسها هناك في العمق وكأنها طفلة أخرى) أجل وهي منبطحة وركبتاها ملتويتان ورجلاها قد تخلصتا من الخفين، فتحت الكتاب وراحت تطالعه: كما نشرب أو نغرق! نسيت الزمان والبيت والقرية وحتى صورتها المعكوسة في المرآة، وهي تطالع، قررت في قرارة نفسها (لن أتوقف إلا عند آخر صفحة) بعد برهة من الزمن، أخذت تبكي دون أن تتفطن لذلك، في صمت في بدء الأمر، ثم بنحيب هزّها ببطء. سمعت أمها، التي أعدت لمجة المساء كما في كل يوم، من المطبخ، هذا اللحن الذي كان يتخلله الفواق، هالها الأمر فهرعت وتسمرت عند العتبة تتأمل بكرها المكسورة ولكنها لا تزال تقرأ بنهم، الشابة ذات الأربع والعشرين سنة -التي لا تحسن بعد قراءة اللغة الفرنسية وإنما العربية فقط- تتصور مدى العقبات والأعداء التي تقف في وجه صغيرتها، في مدرستهم، ماذا جرى لك في القسم؟ سألتها بقلق. ودون أن ترفع الفتاة رأسها ودون أن تمسح وجنتيها، وهي تبدي فضولا جما، اعتراها اضطراب جديد أصابعها تطوي بسرعة كل صفحة:

لا شيء! أنا أطالع يا ماما! صرخت النائحة بافتخار وانتشاء، هكذا ولأول مرة وقعت الفتاة في أسر-وقعت أنا في أسر- حياة كائن آخر، حياة قريبة جدا وملموسة للغاية هي حياة بطل قصة (بدون عائلة) كما تخيله الكاتب الفرنسي (هيكتور مالو) (جبار، الصفحات 23-24) قد نتساءل كمتلقين وناقدين لهذا الأثر الروائي عن سبب تركيز الكاتبة حول وضعية الطفلة ومحطاتها النفسية التي وسمت بشجون ودموع بمجرد قراءتها ومطالعتها للرواية التي بين يديها، ولكن لو انتبهنا لأدق التفاصيل لاستوعبنا ان حماس الأنثى أثناء عملية القراءة قد يبدو أعمق بكثير من تجربة الرجل، فالمرأة تقرا بشكل مختلف تماما حتى أن شارلوت برونتي شيرلي قالت أنه لو تمكن الرجال من أن يرونا كما نحن بالفعل، ستقل دهشتهم؛ لكن غالبا

ما تكون لدى أمهر الرجال وأحدهم ذهنا أوهام عن النساء. ولأنهم لا يقرأنهن في ضوء حقيقي فإنهم يسيئون فهمهن، سواء خيرهن أو شرهن. إن المرأة الصالحة لديهم شيء غامض، نصف ملاك؛ والمرأة الشريرة دائما ما تكون شيطانا (موريس، 2002، صفحة 45) فدوما حجة سوء فهم المرأة موجودة ولو لم تكن حاضرة بشكل شعوري، ذلك يرجع طبعا لعدة عوامل منها المعتقدات الشعبية الموروثة حول حضور الأنثى من عدمه ورمزيه على أنها لا محالة شرّ لابد منهن.

نعود لمشهد الطفلة في الرواية أين نجد الفتاة تبكي جراء هذه المصيبة (فقد طفل أبويه في الكتاب) وهي مندسة ملبدة في سرير الوالدين -واسع جدا ذي دعائم من الأكاجو، حيث كانت تطلب، بمجرد استيقاظها في السرير الصغير الموجود قريبا، بأن توضع بين أبيها وأمها. كانت تتكبب عليهما، وكان الوالدان يتحادثان من فوق جسدها هي، هل كانا يقبلانها الواحد تلو الآخر، هل كانا يلعبان معها؟ بالكاد تتذكر ذلك. ولكن ما أعظم الراحة التي كانت تشعر بينهما خلال أيام الأحد هذه، حيث كان في مقدور الاب أن يتكاسل بينما كانت الام تتأهب لإحضار فطور الصباح! إنها تتذكر 'أن أتذكر) أن أباها كان يطالع فيما بعد جريدته. أما الأم فكانت تشغل المذياع -إذاعة الجزائر، القناة العربية- بوصفها مستمتعة مواظبة للموسيقى العاطفية المصرية أحيانا وللأغاني المصوغة بالدارجة الجزائرية... ودموع الطفلة -الأميرة- التي استثارتها هذه القراءة الأولى؟ بعد سنوات عديدة ستتساءل ما إذا كانت الدموع المشار إليها تستمد طراوتها من سرير أبويها حيث ارتمت في حين لم يكن طفل الكتاب يعرف طعم الراحة قد ولا برّ أمان في مآسيه على امتداد الصفحات المطوية.. (جبار، الصفحات 24-25) استعداد من لدن الطفلة التي هي ذاتها التي تتحدث عن لسان الكاتبة آسيا جبار لاستقبال عاطفة جديدة تنبع من خلال مشاهد الرواية التي تقرؤها، والتي قد تبدو أنها جدا بسيطة وتستدها من روتين الحياة اليومي كملاحظة والدتها وهي تقوم بالأعمال المنزلية أو استماعها إلى المذياع، أو رؤية والدها وهو يطالع جريدته، كل هذه الأفعال البسيطة والاعتيادية جدا أخذت تحدث في ذات هذه الصغيرة الكثيرة من الأسئلة والتخمينات ذات الشجون، وتسقطها على طفل الرواية التي تقرؤها، وهذه الموجة العاطفية ما هي إلا بداية لما ستعيشه الصغيرة لاحقا بعد تقدم الأحداث، اين تنمو أحداث الرواية بين التحول من

القرية للمدينة التي لونت تفاصيلها نمطا استراتيجيا للزمن والمكان وقد جسدت عالم المرأة المندثر خلف الجدران وعوالم الثقافة الاجتماعية تقاليدها وأعرافها، أنماط تكتم تلك الحرية القابعة في أذهانهن الحالمة أو الممارسة خفية، لكن وجودها في المدينة أثار تلك الأسرار الدفينة والرغبات وبدأ صراع المرغوب والممنوع يثير حيز الحكي ومزايا الشخصيات بتنوعها وأهدافها داخل الحياة، ثم إن الخطاب في رواية بوابة الذكريات لآسيا جبار نسق تركيبي للمتخيل وإسقاط للعوالم الاستعمارية والقرية والمدينة ثم السفر للخارج وهي تتباعد في تضاريسها ومحيطها الاجتماعي لكنها في نفس الوقت متقاطعة في ترسبات الوعي الباطن للعقائد العرفية في الريف وتأثيرها على ذهنية شخصية (فاطمة) بعد انتقالها للمدينة وأثر ذكريات المراهقة على الفترة الجامعية والمهنية في باريس، حيث تصبح دائرة الصوت متعالية وصريحة وواضحة مع النضوج والإدراك ودرجة التحكم في الأحاسيس والعقل، يتضح في الرواية درجة تحكم الروائية في الزمن والمكان وربط الماضي بالحاضر تلك الانتقالية العميقة بين المعاني والخطابات الظاهرة والمضمرة (لوت، 2022، صفحة 111) حرص كبير من الكاتبة وهي توضح لنا معالم شخصية فاطمة كيف انها تشبهها وكأنها إسقاط صحيح على شخصها الحقيقي، والبحث عن العاطفة والتحرر من تبعية المجتمع سواء تلك السلبية بالقيود أو السلبية بالانفتاح المبالغ فيه.

4. تحليل النتائج:

تمايز التجربة العاطفية لشخصية فاطمة التي لاحظنا أثناء صفحات الرواية أنها في استمرارية للبحث عن الاكتمال العاطفي، فنراها تستهل بحثها بين كنف اسرتها بين ابيها وامها، لتتغير رؤيتها بتغير الفضاء الاجتماعي والمكاني الذي تعيش فيه، فتنتقل من بساطة الطلب العاطفي الذي عرفته في القرية، إلى ما هو أعمق تجربة في فضاء المدينة التي من خلال مغيرات العيش فيها وطبيعة تفكير سكانها صارت تعيش نوعا من التشظي الذاتي باحثة عبره عن العطف والحب الذي يسد احتياجها العاطفي والفكري..، والحديثة في هذا السياق يطول وعليه توصياتنا هو الاهتمام الواسع أكثر بمثل هذا النوع من الكتابة، ومعالجة الرواية النسوية من عدة جوانب تمس المشتركات الإنسانية أكثر من الانتباه للظواهر الفنية واللغوية في حد ذاتها.

5. خاتمة:

صفوة القول فيما تم التطرق إليه في ورقتنا البحثية هي النتائج التالية:

- ✓ الكتابة النسوية تيار جديد في عالم الإبداع الأدبي والطي يستحق الانتباه له، نظرا لما يحمله من مؤهلات والتفاتات جديدة تختلف تماما عن تلك التي عهدناها في أقلام الأدباء.
- ✓ أن حضور المرأة في المجال الأدبي له خصوصياته، وكيف ان رمزية المرأة في العادة ترتبط دوما بتلك الأنساق الثقافية والمعتقدات الشعبية الموروثة عنها، وقد استطاعت الكتابة النسوية أن تغربل هذه الانتقادات والتصورات الغير عادلة سواء من خلال معالجة شخصيات أدبية متخيلة أو تضمين شخصيات تحمل توجسات وأفكار الكاتبة في حد ذلك تماما كما لاحظنا مع الكاتبة الجزائرية آسيا جبار، والتي استطاعت من خلال روايتها بوابة الذكريات ان تدمج بين عالم الخطاب الروائي والسرد الذاتي أين وجهت أنظارنا صوب شخصيات نسائية مهمة، وأهم الأدوار التي تلعبها الأنثى كأم أو ابنة وحتى حبيبة وزوجة وصديقة.

6. قائمة المراجع والمصادر:

- المشرف, ج .(2012) .*العاطفة كالماء مقاربة سايكولوجية فنية في العاطفة وتداعياتها* .(éd. 1)دار الفكر العربي.
- جام موريس. (2002). *الأدب والنسوية*. (سهام عبد السلام، المترجمون) المجلس الأعلى للثقافة.
- جبار, آ .(s.d.) .*بوابة الذكريات*) .م. يحياته (.Trad ,دار الأمين.

- فاروق سلطاني. (2020). الرواية النسوية الجزائرية مسارات النشأة وخصوصية المنجز السردي. *مجلة إشكالات في اللغة والأدب*، *9*(3)، 41.
- كريمة ناوي. (2013). آسيا جبار بين الرواية والفلم. *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية*، 237.
- لوت, ز .(2022) .فضاء المدينة في رواية الذكريات لآسيا جبار المركز والهامش .*مجلة موازين*.111 ,